

التحرير والتنوير

وقرأ الجمهور (يتناجون) بصيغة التفاعل من ناجي المزيد . وقرأه حمزة ورويس ويعقوب وينتجون بصيغة الافتعال من نجا الثلاثي المجرد أي سار غيره والافتعال يرد بمعنى المفاعلة مثل اختصموا واقتتلوا .

والإثم : المعصية وهو ما يشتمل عليه تناجيهم من كلام لكفر وذم المسلمين .
والعدوان بضم العين : الظلم وهو ما يدبرونه من الكيد للمسلمين .
ومعصية الرسول مخالفة ما يأمرهم به ومن جملة ذلك أنه نهاهم عن النجوى وهم يعودون لها .

والياء للملابسة أي يتناجون ملابسين الإثم والعدوان ومعصية الرسول وهذه الملابس متفاوتة . فملابسة الإثم والعدوان ملابس المتناجي في شأنه لفعل المناجين . وملابسة معصية الرسول A ملابس المقارنة للفعل لأن نجواهم بعد أن نهاهم النبي A عنها معصية وفي قوله (نهوا عن النجوى) وقوله (ومعصية الرسول) دلالة على أنهم منافقون لا يهود لأن النبي A ما كان ينهى اليهود عن أحوالهم . وهذا يرد قول من تأول الآية على اليهود وهو قول مجاهد وقتادة بل الحق ما في ابن عطية عن ابن عباس أنها نزلت في المنافقين .

(وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به) ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير [8]) E A بعد أن ذكر حالهم في اختلاء بعضهم ببعض ذكر حال نياتهم الخبيثة عند الحضور في مجلس النبي A فإنهم يتتبعون سوء نياتهم من كلمات يتبادر منها للسامعين أنها صالحة فكانوا إذا دخلوا على النبي A يخفتون لفظ " السلام عليكم " لأنه شعار الإسلام ولما فيه من معنى جمع السلامة يعدلون عن ذلك ويقولون : أنعم صباحا وهي تحية العرب في الجاهلية لأنهم لا يحبوا أن يتركوا عوائد الجاهلية . نقله ابن عطية عن ابن عباس .

فمعنى (بما لم يحيك به) (بغير لفظ السلام فإن الله يحياه بذلك بخصوصه في قوله تعالى) يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . وحياه به في عموم الأنبياء بقوله (وقل الحمد لله وسلم على عباده الذين اصطفى) . وتحية الله هي التحية الكاملة .
وليس المراد من هذه الآية ما ورد في حديث : أن اليهود كانوا إذا حيوا النبي A قالوا : السام عليك وأن النبي A كان يرد عليهم بقوله (وعليكم) . فإن ذلك وارد في قوم معروف أنهم من اليهود . وما ذكر أول هذه الآية لا يليق حمله على أحوال اليهود كما علمت آنفا ولو حمل ضمير (جاءوك) على اليهود لزم عليه تشتيت الضمائر .

أما هذه الآية ففي أحوال المنافقين وهذا مثل ما كان بعضهم يقول للنبي A (راعنا) تعلموها من اليهود وهم يريدون التوجيه بالرعونة فأنزل اﷻ تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) ولم يرد منه نهى اليهود . ومعنى (يقولون في أنفسهم) يقول بعضهم لبعض على نحو قوله تعالى (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) . وقوله (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أي ظن بعضهم ببعض خيرا أي يقول بعضهم لبعض .

ويجوز أن يكون المراد ب (أنفسهم) مجامعهم كقوله تعالى (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) أي قل لهم خاليا بهم سترا عليهم من الافتضاح . وتقدم في سورة النساء و (لولا) للتحضيض أي هلا يعذبنا اﷻ بسبب كلامنا الذي نتناجى به من ذم النبي A ونحو ذلك أي يقولون ما معناه لو كان محمدا نبيا لعذبنا اﷻ بما نقوله من سوء فيه ومن الذم وهو ما لخصه اﷻ من قولهم بكلمة (لولا يعذبنا اﷻ) فإن (لولا) للتحضيض مستعملة كناية عن جحد نبوة النبي A أي لو كان نبيا لغضب اﷻ علينا فلعذبنا الآن بسبب قولنا له